ولم تلبث هذه الوضعية أن كشفت عن مخاطرها مع بداية المرحلة الثانية عندما برزت ظاهرة تنصيب الأمراء من لدن أعوان الدولة من الوزراء والحجاب ومن بجانبهم من أشياخ القبائل المرينية وزعماء بعض القبائل الأخرى. فكان أن اهتز كيان الدولة من الأساس فانقسمت رقعة البلاد وبادر حكام "مملكة فاس" إلى الاعتراف رسمياً بكل من إمارتي مراكش وسجلماسة ابتداء من منتصف عام 763 / 1363. وكان أن تعاقب الملوك من جهة أخرى بوتيرة غير معهودة حتى الآن فلم تعد تعدو مدة ولاية أغلبية الأمراء "المحجوبين" من سلاطين الفترة كلها إلا سنة فما دونها أو زهاء السنتين باستثناء من قام منهم ضد "أوصيائه" فتخلص منهم كأبي فارس (767 / 1366 ـ 774 / 1372) ومن نجا بنفسه كأبي العباس الذي نصب مرتين فيما بين سنة 776 / 1374 وسنة 796 / 1393.

ومما يلاحظ بهذا الصدد أن العلاقات بين ضفتي البوغاز قد دنت هنا من المنعطف الذي سوف يؤدي عما قريب إلى احتلال مدينة سبتة على يد البرتغال سنة 818 / 1415. ذلك أن غرناطة المسلمة قد أخذت تستغل الظرفية الجديدة بالمغرب الأقصى بمعية إشبيلية المسيحية أثناء العقود الأخيرة من القرن الثامن فأصبح لكل منهما مرشحوه أيضاً من بين أمراء بني مرين. ومع تردي الأوضاع وتفاحش استياء "الرعية" بسبب التجاوزات المتنوعة وضياع سبتة من حوزة أبي سعيد الثالث (800 / 1398 ـ 823 / 1420)، فإن أنظار كل من تونس وتلمسان قد أخذت تتجه هي الأخرى نحو العاصمة المرينية عسى أن تؤثر من جهتها على اختيار الأمير "الأنسب" للقيام بالأمر بمدينة فاس.

ومع أننا نكاد نجهل كل شيء عن دقائق الأمور في هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب الأقصى الوسيط، إلا أننا نعلم أنها جمعت بين تقدم البرتغال نحو السواحل وبين تحفز بقية الجيران بالشرق والشمال مع استمرارالانقسامات الداخلية المرينية وتواتر الحروب بين العاصمة ومجموعة متجددة من الحركات القبلية أوالإقليمية المناوئة كحركة اللحياني بمنطقة الغرب وحركة أنگاد بالمغرب الشرقي وحركات عرب المعقل بالجنوب والجنوب الشرقي برسم محاولة النفوذ نحو السهول الأطلسية وخاصة منها السهول الوسطى والشمالية ـ الغربية. أما عن "العامة" من الأهالي، فالظاهر أنهم كانوا قد ألفوا اللجوء منذ بداية المرحلة كلها إلى التنظيمات الصوفية المنبثة بالمدن والأرياف بحثاً عن العزاء وتعبيراً عن نوع من العزوف المبدئي والمقاطعة. لذا كان من الطبيعي أن يزداد التعلق بهذه التنظيمات المتطورة تبعاً للأوضاع العامة إلى أن قامت ثورة عارمة بفاس أودت بحياة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد الثالث فكان بذلك آخر ملوك دولة بني عبد الحق وبني مرين.

ويبقى بعد هذا أن "العصر المريني" قد خلف من الآثار الاجتماعية والمعطيات الثقافية العامة ما سوف يحدد معالم المغرب الأقصى في "العصر الحديث". من أهم هذه المعطيات وتلك الآثار حركة نزوح كل من قبائل زناتة وقبائل عرب المعقل نحو السهول الغربية عبر جبال الأطلس المتوسط على الخصوص. ومنها بداية الاحتكاك الفعلي والتواصل بين هذه العنصرين بالذات وكذا بين العنصر الزناتي وبقية القبائل النازلة بالسهول المذكورة. ومنها أيضاً بداية رسوخ المذهب المالكي وبالتالي بداية ظهور الوحدة المذهبية ووحدة العقيدة ووحدة الحساسية الدينية بوجه عام سواء من خلال الحياة اليومية أو من خلال المواسم المستحدثة والاحتفالات الشعبية "المبتدعة" بمناسبة عيد المولد النبوي. وأخيراً فإن مقتضيات أسلوب الحكم المريني قد أدت في النهاية إلى إفراز فئة اجتماعية جديدة أصبحت تعي نفسها كطاقة دينية ـ سياسية وقوة قابلة لأن تكون بديلا ممكناً بالمغرب الأقصى هي فئة الشرفاء.

ابن عذاري، *البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب*، المجلد الثالث، تطوان، 1960 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*،7، بيروت، 1959 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً*، القاهرة، 1951 ؛ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، القاهرة، د. ت. ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، الدار البيضاء، 1988 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981 ؛ ابن عباد، *الرسائل الكبرى*، فاس، 1320 / 1902 ؛ *الرسائل الصغرى*، بيروت، 1976 ؛ ابن السكاك، *نصح ملوك الإسلام*، فاس، د. ت. ؛ أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، 13 ج، بيروت ـ المحمدية، 1981 ـ 1983 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1980.

R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides 1232 - 1492*, Paris, 1973 ; R. Brunschvig, *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVe siècle...*, Paris, 1936 ; *La Berbérie orientale sous les Hafsides : des origines à la fin du XVe siècle*, 2 vol., Paris, 1940 - 47 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIV siècles*, Paris, 1966 ; M. Garcia - Arenal, *The Revolution of Fas in 869 / 1465 and the death of Sultan Abd-al-Haqq al-Marini, B. S. O. A. S.*, XLI, 43 - 66 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age*, Paris, 1986 ; A. Khaneboubi, *Les Premiers sultans mérinides*, Paris, 1987 ; Ma. Shatzmiller, *L'historiographie mérinide*, Leiden, 1982, id ; *Marinides, E. I. 2*, vol. VI, 556 - 559; *Relaciones de la Peninsula Iberica con el Magreb, Siglos XIII - XVI, Actas del Coloquio*, editas por M. Garcia-Arenal y Ma. Viguera, Madrid, 1988.

محمد القبلي

بني مزدوي، قبيلة تقع بناحية صنهاجية السراير (إقليم الحسيمة حالياً) وتحيط بها قبائل بني ورياغل وبني عمارت وزرقات وتارگيست. تقدر مساحتها بـ 107 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 2749 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية. في القبيلة ثمانية مساجد وضريحان وزاوية وتسعة كتاتيب قرآنية، وتحتوي على تسعة مداشر.

تكون هذ القبيلة في النظام الإداري مع قبيلة زرقات جماعة قروية واحدة اسمها جماعة بن عبو.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 343.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y